عودة الربيع



لميعة عباس عمارة

عودة الربيع
و
الزاوية الخالية

عودة الربيع
و
الزاوية الخالية

شعر

لميعة عباس عمارة

الطبعة الثانية
بيروت 2001

اسم الكتاب : عودة الربيع – الزاوية الخالية
اسم المؤلف : لميعة عباس عمارة
النوع : شعر
عدد الصفحات : 104
القياس : 14,5 × 21,00 سنتم
بورتريه الشاعرة: تخطيط الفنان حسين ياغي
الناشر : AMARA Publisher
عنوان الناشر : P.O.Box 4075
La Mesa, California 91944-4075
U.S.A.
رقم الإيداع : ISBN 9953-9010-1-5

الزاوية الخالية

الطبعة الثانية المنقّحة

صَدرت الطبعة الأولى ببغداد سنة 1959 على نفقة
الشاعرة على ورق ليجر أزرق وخطّ عناوينها
الفنان الكبير هاشم الخطّاط

الزاوية الخالية

حلم كلّ فتاة أن تتزوّج وأن يكون لها أطفال، وقد اخترت أن أعيش حياتي لا أن أخلد بعد مماتي، فتزوّجت وأنجبت، وشغلت بأمور الأسرة، فبقيت زاوية الشعر خالية.

أميلُ برأسيَ عند المساء
على ساعدٍ ثائرٍ بالغزلْ

أنامُ على همساتِ الجنون
وأصحو على دغدغاتِ القُبَل .

طمأنينةٌ وابتسامٌ وشوق
وهل لفتاةٍ سواها أمل ؟

بَنيَّ صدى حُلُمي في الشروق
وصورةُ وهمٍ جلاهُ الوجود

أعزَّ وأنضرَ مما حلمتُ
وأغزرَ عطراً وأحلى خدود

فأسمرُهم من ظلال الهناء
وأبيضُهم من صفاء الوعود

لضحكاتهم نَغَماتُ البيان
وقفزاتُهم مرحُ الطائرِ
وأيديهمُ كلفيفِ الحرير
تمرُّ على قسوة الحاضرُ

لــكــلٍّ ســنــاهُ ، لــكــلٍّ شــذاهُ
كــأوتــار قــيــثــارة الشــاعــر .
عــلــى أنَّــنــي بين هــمس الــقــدور
وصــوتِ الصــحــون وريــحِ الخُضَــرْ
أُحِــسُّ كــأنَّ الــربــيــعَ يــعــودُ
فــيــنــســى مــكــانيَ بين الــبــشــر
كــأنَّ الحيــاةَ رمت مــا أُريــد
إليَّ ، وســدَّتْ دروبَ الــسّــفــر .

أُحِــسُّ كــأنّي نســيتُ الــكــلام
نســيتُ وجــودي ، نســيتُ الألــم

كــمــاكــنــةٍ دونَ مــا غــايــةٍ
تسيرُ ، ومــا شــعــرتْ بــالــسّــأم

وكان فراغي امتلاءَ الخَيال
فصار امتلاءُ حياتي عدم .

كأنّي نسيتُ ، وماذا نسيت
هنالك زاويةٌ خاليَه

تصعَّدَ منها أنينٌ بطيءٌ
عميقٌ يثورُ بأعماقيَه

فأُبعدُه بسخيفِ الحديثِ
وأُشغلُ عنه بأشغاليَه .

ألقيت هذه القصيدة في أُمسية بدار المعلمين العالية التي صار اسمها كليّة الآداب بتاريخ 1956/2/15 . وكان الداعي لها الناقد الأستاذ د. علي جواد الطاهر ورئيس الجمعية الطالب آنذاك د. صلاح نيازي (رئيس تحرير مجلة الاغتراب الأدبي بلندن)، وكانت هذه الأمسية مميّزة وتاريخيّة ذُكرت في سيرة حياة الدكتور الطاهر لأنّه استطاع أن يجمع بين بدر شاكر السياب ولميعة عباس عمارة بعد فراق ست سنوات.

زيدون

يا رفيفَ التويج في الفجر نديان
يُمنِّي الفراشَ بالتّقبيلِ

آهِ لولا تركتَ لي غفوةَ الصّبحِ
لأَشفي من الرّقاد غليلي .

بغداد 1955

أغنية لزيدون

لأجــلِ عُــيــونِكِ إذ تــحــلــمُ
وثــغــرِكَ يــا زيــدُ إذ يــبــســم
فــيــنــسابُ بَــرداً عــلــى مــهــجــتــي
ولحنــاً وديــعــاً بــأغــنــيــتــي
ونــوراً يُــبــددُ عــنّــي الــظــلامْ
لأجــل عــيــونِكَ أهــوى السّــلام .

لأجلِــك يــا بُــرعــماً مــن حــريــرْ
يــنــامُ عــلــى وشــوشــات الــخــريــر
ويــلــتــفُّ بــالــعــطــر والأُمــنــيــات
ويــغــمُــرُ بــالــحُــبِّ قــلــبَ الــحــيــاة
ويــنثرُ مــن خــبــزِهِ لــلــحَــمــام
لأجــلــك زيــدُ أُحبُّ السّــلام .

لـتـنـعـمَ أنتَ وســربُ الصّــغـارْ
بـمـسـتـقـبـلٍ مـطـمـئـنِّ الـنـهـار
فــلا غــارةٌ تُــرعِــبُ الــلاعــبين
ولا صــرخــةٌ مــن رفــيــقٍ طـعين
ولا ظـلّــةُ الــكـرم فــيـهـا ضــرام
لأجــلـك زيــدُ أحبُّ الـسّـــلام .

لأجـل الـورودِ عـلــى وجـنـتـيكْ
وبــرقِ الســعــادةِ في نــاظــريك
ومــا رســمت ريشــةُ المبــدعين
مــن الحبِّ والخيرِ لــلــطــيّــبين
ومــن دَعــةٍ ســتــلــفُّ الأنــام
أُقــدِّسُ يــا زيــدُ مـعـنـى السـلام .

بغداد 1958

سائلة

صدقةً لله
يا سيّدي لله
إرحمْ لوجه الله

لا أستحي ؟!
يـــا ســيــدي مـــن ليَ بـــالحيـــاءِ
فَـــرَّ مـــن الشـــقـــوقِ في ردائـــي
مـــن رعشـــتـــي في زعـــزع الشـــتـــاء
وَعَظَّةِ[1] الحرمـــانِ في أحشـــائـــي
يـــا ســيــدي مَـــن ليَ بـــالحيـــاء ؟

أمس تـوسَّـدتُ رصـيـفَ الجسـرِ
أعُـدُّ بـالأقـدامِ عـمـرَ الـدَّهـرِ

خُـطـىً ثِـقـالٌ خُـدِّرتْ بـالخمـر
أُخـرى سِـراعٌ مـادَرَت مـن أمـري
نمتُ ، ومـا امـتـدّت إلى إنـائـي
يـدٌ ، ولا أُسـعِـدتُ في مسـائـي
يـا سـيـدي مَـن لِيَ بـالحيـاءِ ؟

طَـوَّفتُ في المقـهـى مـع الـدخـانِ
أهـيبُ بـالـرحـمـةِ ، بـالإحسـانِ
لـو يُـدرِكُ المذيـاعُ مـا أُعـاني
لجمـدت في وجـهـهِ الأغـاني
غـطَّـى صـدى (النردِ) علـى ندائـي

وعُـــدتُ مـــن مـــقبرة الأحـــيـــاء
خـــالـــيـــةً إلاّ مـــن الـــعـــنـــاءِ
يـــا ســـيـــدي مـــن ليَ بـــالحيـــاءِ ؟

تـــعـــودُ بـــالحلـــوى وبـــالأشـــواقِ
وتســـتـــبـــيـــنـــي فَـــضـــلـــةُ الأطـــبـــاقِ
فـــأنتَ - حـــتـــمـــاً - فـــاضـــلُ الأخـــلاقِ
أمّـــا أنـــا فـــلـــعـــنـــةُ الخلاّقِ
ووصـــمـــةٌ في جـــبـــهـــةِ الحيـــاءِ
يـــا ســـيـــدي عُـــذرَكَ عـــن هُـــرائـــي
سأستحي ...
ستستحي أمعائي .

بغداد 1957/6/15

1 عضّ بالضاد للعض الحقيقي بالأسنان، أما المجازي فيكتب بالظاء.

حتى الكلب

العنوان بالإنجليزية (كلب السماء) القصيدة لتوماس هاردي

ـ آهٍ إخالُكَ يا حبيبي عند قبري تحفرُ
كي تغرسَ الأشجار حولي .

ـ كلاّ ، حبيبُكِ راحَ أمسِ خاطباً
حسناءَ من أهلِ الثراءِ
وهو يهمس :
« ما ضرّها
إن كنتُ لم أنقضْ لها بالأمسِ عهدي
عاشتْ وماتتْ
وهي تعلمُ صدقَ أشواقي وَودِّي » .

ـ مَن هؤلاءِ إذن

وقد جاءوا لقبري يحفرون ؟

أأقاربي ؟

ـ لا ، إنّهم جلسوا هنالك يلغطون :

« ماذا ستُجديها الزهورُ ،

وأيُّ نفعٍ في السِداب[1] ؟

فمحالَ أن تنسلَّ تلكَ الروحُ

من سجن التراب » .

ـ لكنَّني ما زلتُ أسمعُ حافراً ، مَن يا تُرى؟

أعَدوَّتي الرعناءُ تسكبُ حِقدَها فوق الثّرى؟

ـ كلاّ، فقد ضَنَّتْ على الأشلاءِ حتّى بالعداء

ما دُمتِ في قيدِ المنونِ فلستِ أهلاً للجفاء

هي لا تُبالي اليومَ في أيِّ المراقدِ ترقدين .

ـ يا ليتَ شعري
من عساهُ يكون هذا الحافرُ ؟
إنّي عييتُ !
أجلْ عييتُ وتاهَ منّي الخاطرُ.

ـ أوّاه سيدتي الحبيبةَ ،
إنّني الكلبُ الصغيرْ
صفحاً وعذراً
إن أكن أقلقتُ صمتَك بالمرور .

ـ عجباً نسيتُكَ أنتَ
يا مَن لا تزالُ على الولاءْ
روحاً أميناً مخلصاً
من أنفسٍ كانت خواء .

- إني لأحفرُ عندَ قبركِ
كي أخبيءَ عَظْمَتي
فلقد نسيتُ
بأنَّ هذا مستقرُك ربَّتي .

1956

1- السّداب: شجيرات ذات رائحة عطرة تغرس عند القبور.

طالبتي

كانت في الصّف المنتهي في دار المعلّمات وحيدة لأمّها الوحيدة. توفيت من جراء حبّة صغيرة ظهرت قرب عينها، وحين جرح الطبيب الحبّة استشرى الداء.

عــذراءُ مــثــلُ بــراعــمِ الــوردِ
كــادت تــودِّع فترةَ الجُهــد
بسَّــامــةُ الآمــال مشــرقــةٌ
هــي لا تَــلــيــقُ بــظــلــمــةِ اللحــدِ .

أســفــاً عــلــى عُــمــرٍ مــن الأمــلِ
يُــطــوى بــلا ســببٍ عــلــى عَجَــل
لــو كــان داؤك مُــعــضــلاً عُــذِروا
لــكــنّــه مــن أبســطِ الــعــلــلِ .

أسفاً عليكِ ضحيةَ الجهلِ
أن تُسلَمي لتجارب القتل
ما ضرَّهم إن زلَّ مِشرطُهم
هم في حمىً من سطوةِ العدل .

قد حَزَّ قلبي موتُ طالبتي
فكأنَّها من صُلبِ عائلتي
ومكانُها الخالي يُعذِّبني
فتخونني في الدرس عاطفتي .

وأرى وراءَ شبابِها المضنى
أُمّاً بلا أملٍ ، بلا معنى
هي كلُّ دنياها فمذ رحلت
رحلَ الرّجاءُ وأقفر المغنى .

يــا زهــرةً في روضــنـا ذَبُـلَـتْ
تســقــيكِ مــنَّـا أدمـعٌ حَــرَّى
فــارقــتِــنـا كُــرهـاً ومـا بــرحت
تـجـتاحُ صحبَك لوعـةُ الذكرى .

بغداد – 1956

بحث بلا جدوى

أين الهواءُ ؟ دخانُ الزيفِ يخنقُني
أيـن الـورودُ فـقـلـبـي الـيـومَ ظـمـآنُ

وحشـانِ بـيـنـهـمـا روحـي مـمـزّقـةٌ
شـوقٌ يـحـرِّقُ أضـلاعـي ، وحـرمـانُ

الـبـحثُ عمَّن تُريدُ النفسُ أتعبني
والـيـأسُ بـعـدَ عـناءِ الـبحثِ أضناني

لا الناسُ ترضى بهم نفسي وتَعشَقُهم
ولا المـلائـكـةُ الأبـرارُ تـرضـاني .

أعيشُ فيهم خيالاً روحُهُ شَرُدتْ
تـجـوبُ آفـاقَ كـونٍ غيرِ مـنـظـورِ

يـا لـلـعـذابِ فـروحـي لا إيـابَ لـهـا
والجسـمُ لا يتركُ الـظـلـمـاءَ لـلـنـورِ .

إن ارتـديتُ حـريـراً هـلّـلـوا عـجـباً
وزاحـمَ الـبـعـضُ بـعـضـاً زُلـفـةً مـنّـي

وإن أتـيتُ بـثـوبِ الـنُّـسكِ أقـصـدُهم
صـدّوا سِـراعـاً وَولّـوا كـلُّـهـم عـنّـي .

يا قلبُ مُتْ كي أُرى في الناسِ هانئةً
فأنتَ سِرُّ عذابي ، أنتَ يا قلبي

لو لم تكن شاعراً ما كنتُ بائسةً
ناشدتُكَ اللهَ مُتْ يا قلبُ في جنبي .

1945

بعد البحث

وهــا أنــا ألــقــاكَ ، لــكــنَّــنــي
عــرفــتُــك بــعــدَ فــواتِ الأوانْ

طـوى الشكُّ عن نـاظـريك الـرّضـى
وجـمَّـدَ قـلـبَـك غـدرُ الحسـان .

أتــيــتُـك ظـمـأى ، فـواحسـرتـي
لـقـد خَـلَـتِ الـكـأسُ مـن خمـرِهـا
سـقَـيـتَ تـرابـاً ، ولم تَـدَّخـر
لـروحـي سـوى الـمُـرِّ مـن سـؤرهـا .

تـمـنّـيـتُ لـو لـم يـجِـدْكَ الـفـؤاد
وظـلَّ سـعـيـداً بـتـلـكَ المنـى

فـواهـاً لـبـحـثـيَ ، كـيـف انـتـهـى
وواهـاً لـقـلـبـيَ ، مـاذا جـنـى ؟

أأهـواكَ ؟! كـلا ... مـعـاذَ الـهـوى
هـو الـقـلبُ يـهـذي بـحـمَّـى الفضولْ

أمـــاتت زهـــورُ الثرى كـــلُّـــهـــا
لأرضـى بـزهـرِ طـواهُ الـذَّبـول ؟

أأتـــبـعُ شـيـخـاً بـطـيءَ الخُطـى
أصـمَّ الـفـؤادِ ، مـلـولاً ، ضَـجِـرْ

أضـاعَ صِـبـاهُ بـألـفَـيْ هـوىً
ومـا زالَ مـن جشـعٍ يـنـتـظـر؟

1948

أنا لست المنتظرة

بعضُ سنينٍ ثمّ يمضي الصبا
ولم تُمَتَّعْ بالصِّبا نفسي

ليت فؤادي لم يكن شاعراً
وليتني جُرِّدْتُ من حِسِّي .

أعيشُ ؟ ما جدوى حياتي وقد
ضاعت أمانيَّ وأحلامي

أشدو ؟ لمن أشدو وقد أخرست
زمجرةُ الإعصارِ أنغامي .

أهــكــذا تـمـضــي حــيـاتــي سُـدى
أهـــكـــذا تُـــدفَـــنُ آمــــالي ؟

أهــكــذا يَـقــطــعُ مــا بــيــنــنــا
هـــذا الســتـــارُ الــقـــاتـمُ الـــبـــالي ؟

تــأبــى الـتـقـالـيـدُ بـأنْ نـلـتـقـي
فـلـيسَ لي مـنكَ سـوى الـذّكـرى

ســـاعـــدُك الـــشـــائـــرُ واحســـرتـــي
ســـوف يَــضـــمُّ امـــرأةً أخـــرى .

بغداد 1948

شهرزاد

ستبقى ستبقى شفاهي ظِماءْ
ويبقى بِعينيَّ هذا النّداء
ولن يبرحَ الصدرَ هذا الحنين
ولن يُخرِسَ اليأسُ كلَّ الرجاءْ .

سيبقى لكفّيَ هذا البرودْ
ولن تعرفَ الدّفءَ حتى تعود
عناقُ الأكفِّ أثارَ الدّماء
وعلَّمني كيفَ يُنسى الوجود .

ستبقى دمائي لظىً واحتراقْ
وتبقى ضلوعي مُنىً واشتياق
فكلُّ حياتي هوىً يائسٌ
لقاءٌ قصيرُ المدى ، فافتراق .

لـعـيـنـيكَ أنتَ يَـلَـذُّ الـعـذابْ
ويـسـتـعـذبُ الـقـلبُ مُـرَّ الشـراب
فـفـيكَ عـرَفتُ الـنـبـيَّ الـوديـع
ومـا كـنتُ أعـرِفُ إلاّ ذئـاب .

هـوانـا وأشـواقُـنـا الخالـده
وثـورةُ أرواحِـنـا الحاقـده
لأعـجـزُ مـن أنْ تَـمُـدَّ يـداً
تُـمـزِّقُ أسطـورةً بـائـده .

أسـاطيرُ نمَّـقَـهـا الأوّلـون
وأشـبـاحُ مـوتـى تـجـوبُ الـقـرون
لـتـخـنـقَ أجـمـلَ أحـلامِـنـا
وتـعـبثَ فـيـنـا ، فـيـا لـلـجـنـون

ستمضي ، فمَنْ لي بأنْ أمنعَكْ ؟
ستمضي ، فهل لِيَ أن أتبعك ؟
فقلبي ، وشعري ، وعمري سُدىً
إذا لم أُمَتَّعْ بعيشي معك .

سأهواكَ حتى تجِفَّ الدموعْ
بعينِي ، وتنهارَ هذي الضلوع
ملأتَ حياتي ، فحيثُ التفتُّ
أريجٌ بذكرِكِ منها يضوع .

سيبقى هوايَ لظىً مُضرَما
ولن أعرفَ اليأسَ ، لن أسأما
سيبقى انتظاري يُذيبُ السنين
وأعلمُ أنَّك لن تَقدِما .

وفي لــيــلــةٍ مــن لــيــالي الشــتــاءْ
وقــد لفَّــنــي وفــتــاتــي غــطــاء
ســأرنــو إلى الــبــابِ مــرتــاعــةً
وأتــلــو عــلــيــهــا (نشــيــدَ اللــقــاء) .

ســأغــمَــرُ بــالــذكــريــاتِ الــبُــعــاد
مُنىً في النهارِ ، رؤىً في الرّقادْ
ويــبــقــى حــديــثُ الــهــوى قصَّــةً
أبَــتْ أن تُــتَــمِّــمَــهــا شــهــرزادْ .

بغداد 1948

فلسطين

ألا أبلغِ الباغي الذي وضعَ الحدّا
بـأنّ بـلادي لا تُـبـاعُ ولا تُـهـدى

أخـي لـيسَ فـينـا لـلـتـأسّـي بـقـيّـةٌ
فدع نارَها توري وشمِّر لها زندا

أنِـسـنـا بـمـعسـولِ الأحـاديثِ حِـقبةً
فما خفَّفَ البلوى حديثٌ ولا أجدى

وهـذي فـلـسـطينُ تُـمـزِّقُ قـلـبَـهـا
مخالبُ وحشٍ هـدَّ أشـلاءهـا هـدّا

لصهيونَ منها جَنَّةٌ طابَ ظلُّها
يعيشُ بها من دونِ أربابِها رغدا

أتشربُ من دمعِ المسيحِ أزاهرٌ
تُزَيِّنُ حمقاءَ لتُغري بها وغدا ؟

فيا صخرةَ المعراجِ ميدي وحطّمي
معاقلَ ظلمٍ دنَّست ذلك المجدا

وإن تسألي عن قومك الصيدِ فانظري
لقد وُهِبوا الصحراءَ وامتلكوا النجدا

أكفُّهمُ تستعطفُ الرملَ والحصى
وصهيونُ يُحصي التبرَ لا ينتهي عَدّا

إذ مـا جـرى دمـعُ الـيـتـامـى أحـالَـهُ
جداولَ تسقي في جنائنهِ الوردا .

أخي أرنـي في كـفِّـك السيفَ مصلتاً
يَـفُـلُّ إذا جَـرَّدْتَـهُ الحجـرَ الصلـدا

ودعني أُروّي العينَ من بهجةِ الدما
فـإنّـي سـئـمتُ الـعـيشَ أغبرَ مُـربـدّا

أتـجـبُـنُ ؟ هل تنسى دماؤك أنّها
تَحدَّرُ من عدنانَ ، أكرِم به جَدّا

أتـرثـي لـيـأسـي أم تَـلينُ للـوعـتـي
وفي القدسِ آلافُ الجوانحِ لا تهدا ؟

فـهـا أنـا أُختٌ بـالـرداءِ تشـبَّـثت
فلا تُلقِ لي بالاً ولا ترهب البعدا

وأُمٌّ بكت تخشى عليك من الـرّدى
فَدَعْ دمعَها يجري وكن رجلاً جَلدا

لئن كَرِهَتْ نفسي هلاكَكَ في الوغى
لأكرَهُ منهُ أن أراكَ هنا عبدا .

سـأتـبـعُ خـطـوَ المرخصين حـيـاتَـهـم
وقد نَـهلوا من صابِ موتِهمُ شهدا

سـألـقـاك بين الـنـقعِ وَلـهـى جلـيـدةً
فـألـثُـمُ مـنـك الجُرحَ والـدَّمَ والخدَّا

أُكَلِّلُ بالأزهارِ جبهةَ ماجدٍ
مضرَّجةً أهوَتْ وما نكثت عهدا

شهيدٌ على أشلائهِ شيدَ موطنٌ
ونالَ رفيعَ المجدِ ، أعظم به مجدا

لئن خلَّدَ التاريخُ في سِفرهِ اسمَهُ
لمنزلُه في القلب قد ضاعَفَ الخلدا

1948

حازت هذه القصيدة على الجائزة الأولى في مهرجان الشعر بالكليّة.

يا شهيدَ النضال

أوسعِ النارَ في القيود اتقادا
قد أبى الحقُّ أن تراها رمادا

أوقِدْ النارَ أيُّها الظالمُ الطّاغي
فهيهاتَ أن تَفُلَّ العنادا

الإباءُ العريقُ والحقدُ ما زالا
دماً سالَ حين سال اعتقادا

قد ورِثناه من قلوب الضحايا
شُحَّباً تملأُ الرُبى والوِهادا

وقـبـسـنـاهُ مـن عُـيـونِ الـثـكـالى
خـيَّـمَ الـلـيـلُ فـاشـتـكَـيـنَ الـسُّـهـادا .

يـا شـهـيـدَ الـنّـضـال لـو رَدَّكَ الإنشادُ
مــزَّقـتُ أضــلــعــي إنشــادا

دمُـك الحرُّ مـا أُريـقَ عـلـى الأرضِ
ولا أخـــرسَ الــرصــاصُ الــفــؤادا

خـفـقُـهُ مـا يـزال في كـلّ قـلـبٍ
والــدمُ انصبَّ في الــعــروقِ وعــادا

ألقيت هذه القصيدة أمام السجن المركزي بباب المعظم بمناسبة الوثبة عام 1948 والتي قتل فيها الشهيد جعفر شقيق الجواهري في مكان آخر، بينما مرّت مظاهرتنا أمام السجن بسلام. وفي سنة 2000 نقل لي ابني مازن ما يلي:
كنت صديق د. إياد اسماعيل حقي (العقيد المتقاعد) وكنت أزورهم بالبيت وحين عرف والد صديقي أنك أمي، قال لي: «من أجل والدتك لم أستعمل القوة ضدّ هذه المظاهرة، فقد صدرت لي الأوامر بتطويقها وإسناد السجن وحمايته.

الفن والحياة

الحيـاةُ ، الحيـاةُ ، كـم نـتَـشَـكَّـى
مـن هـمـومٍ فـيـهـا وكـم ذا نُـعـاني

نُـحـرِقُ الـعـمـرَ حسـرةً والـتـيـاعـاً
فـإذا الـعـمـرُ قـبـضـةٌ مـن دُخـانِ

ونُـذيبُ الـقـلـبَ الصـغيرَ دمـوعـاً
ونـــواري ســنــاهُ بــالأشـــجــانِ

فـإذا الأُمـنـيـاتُ فـيـهـا سـرابٌ
تـتـمـنـاهُ مـقـلـتـا ظـمـآنِ .

الحياةُ ابتسامةٌ عطّرَتها
نفحةُ الوردِ في ضُحى نيسانِ

ليس قبحُ الحياةِ إلاّ جمالاً
شوَّهَتْهُ حماقةُ الإنسانِ .

همسةُ النهرِ واخضرارُ الروابي
وشحوبُ السماءِ عندَ الغروبِ
ودموعُ الندى وظلُّ الدوالي
وعتابٌ على جفاءِ حبيبِ
ويدُ الظلم توسِعُ الناسَ بؤساً
وارتعاشُ المروَّعِ المنكوبِ
وصراخُ المعذَّبين على الأرضِ
ينوءون تحتَ عِبءِ الكروبِ
صورٌ ، تُلهبُ الشعورَ فيبدو
في ابتسامٍ ، في دمعةٍ ، في قطوبِ

واســتــحــالت هــذي المشــاعــرُ لحنــاً
مـــن أكُـــفٍّ تُـــداعبُ الأوتــارا

وكــلامــاً فــوق الــكــلام تسامــى
يَــســحــرُ الــروحَ سُــمِّــيَ الأشــعــارا

وتــلــوَّت فــوقَ الحجــارةِ حــتــى
أســكــرتــهــا وهــزَّت الأحــجــارا .

هــي ســرٌّ في الــزَّيتِ عَــلَّمَــهُ الــفــنُّ
بــيــانــاً يُــهَــتِّــكُ الأســتــارا

جَــنَّــحَ الــفــنُّ كــلَّ حسٍّ كســيــحٍ
وحــبــاهُ الخلــودُ ريشــاً فــطــارا .

بغداد نيسان 1948

عام جديد

يا رَنّةَ الفرحِ الوليدِ تَهُزُّ أحشاءَ الظلامْ
لا شوَّهَتْكِ لظى الحروبِ ولا عدمتِ شذى السلام

رِفّي على الكونِ الحزينِ ببهجةِ العهدِ السعيدْ
وذَري الزهورَ تلفُّهُ بدلاً من الدمِ والحديد .

آسي جراحَ المدنَفينَ ، وكفكفي دمعَ الشقاءْ
ومُري الجباهَ الشاحباتِ يُنيرُها ألَقُ الرجاء .

هو عالمٌ ألِفَ العويلَ ومَجَّ مسمعُه الغناءْ
يجري حثيثاً للدمارِ ، ويرتقي حيث الفناء

لم تُلهِهِ نِعَمُ العقولِ ولم يزَل في غابِهِ
وحشاً يُصارِعُ جارَهُ ويعيشُ من أسلابه

يا رنَّةَ الفرحِ الوليدِ تَشُقُّ أجوازَ السماءْ
كوني الرسولَ وبلِّغي عنَّا شكاةَ الأبرياء

المتعَبين ولا جزاء ، الصابرين على البلاء
المعرِضين عن الفُتاتِ ، الظامئين لغير ماء

كوني نعيماً دائماً ، لا ليلةً يطأُ الزمانْ
أفراحَها في سكرةٍ ، وتضيعُ في حَلَقِ الدخان .

يا رنَّةَ الفرحِ الوليدِ تشقُّ أستارَ السكونْ
هِزِّي قلوبَ الظالمينَ لعلّهم لا يظلمون .

بغداد 1952/1/1

خاطئة

لا تزُمّي حاجبيكِ .
لا تَلُمّي شفتيكِ .
لستُ من نتنٍ يفوح
إنَّ لي يا أُختُ روح .

أنا لو أبقيتُ من أمسي دموعْ
لبكَيتُ .
لو ملكتُ اليومَ من أمري الرجوعْ
لعصيتُ .

لا تلمّي حاجبيكِ
لا تزُمّي شفتيكِ .

أنا بنتُ اللعنةِ النكراءِ أحرقتُ كياني
في لظىً من رِقّـةِ الحالِ وإلحاحِ الأماني
قَدَرٌ أخطأَ غيري ورماني
ليس لي فيه قرار
لا ولا منك الخيار
لا تزُمّي حاجبيكِ
لا تَـلُـمّي شفتيكِ .

لو حباكِ اللهُ أمّاً لم يُبارحْها السَّقام
وأباً بالعرقِ الجاهدِ يبتاعُ المُدام
أسرةً أرَّقها جوعٌ وبردُ
وشباباً لا يُرَدُّ
لـم تزُمّي حاجبيكِ
لـم تلمّي شفتيكِ .

لو برغم الشيبِ رغم الداءِ رغم الإحتقار
باعكِ الوالدُ مبهوراً بأضواءِ النُّضار
زهرةً يلذعُها لفحُ السعير
نسمةً يخنقُها حرُّ الهجير
لم تزُمّي حاجبيكِ
لم تلُمّي شفتيكِ .

لو رأيتِ الوالهَ المفتونَ يدعوكِ حزينا
كلّما أعرضتِ عنه زاد شوقاً وأنينا
أينما سرتِ تصدّى
حيثما رُحتِ تبدّى
لم تزُمّي حاجبيكِ
لم تلُمّي شفتيكِ .

بغداد 1956/3/16

عباس عمارة

1946-1901

شاهدة على قبر لم يسلم من الهدم

لم ألتقِ بأبي إلاّ فترات قليلة من عمري، فقد كان دائم السّفر، من مصر لإيطاليا لطرابلس الغرب لتونس لفرنسا فأمريكا.
والتقينا بعد فراق سبع سنين اضطرَّ فيها للبقاء في أمريكا بسبب الحرب، و لم يدم لقاؤنا الأخير غير أشهر قليلة.

هنا كُلُّ ما يتمنَّى الرجال
ذكاءٌ وعلمٌ وخُلقٌ وفَنْ

فوا أسفا كيفَ غاضَ الشباب
وكيف طوى كلَّ هذا كَفَنْ ؟

جمود

أأبـكـي ؟ ومـن لي إذن بـالـدمـوع
وقـد فـارقَ الـروحَ حـتَّـى الألـمْ

حـيـاتـي فـراغٌ ، حـيـاتـي جـمـود
حـيـاتـيَ صـمـتٌ ، حياتي عدم .

أأضـحكُ ؟ مـا أكثرَ الـقِـهـقـهـات
تـجـودُ بـهـا الشـفـةُ الـهـازِئـهْ

كـأنَّ الأسـى لم يَـمَـسَّ الـفـؤادَ
ولم يـعـتـصـر روحـيَ الـهـادئـهْ

وهـذا الـهـوى خـمـرةُ المُـلـهَـمين
تشـهَّـيـتُـه ، وأبـيَـتُ الـلـقـا

تـهـرَّبتُ لا خـوفَ آلامِـه
ولـكـن أبـى الـقـلبُ أن يـخـفـقـا .

جـلست وقــد غـامت الـذكـريـات
بـعـيـداً وراء الضـبـاب الـكـثـيفْ

ولي حـــاضــرٌ كـــريـــاح الشـــتـــاء
تـــهُـــزُّ الشـــجيرات بـــعـــد الخريـف

وأرســلتُ طـرفـي يـجـوبُ الـقـفـار
بـــعـــيـــداً إلى الحفـــرةِ الـــنـــائـــيـــه

إلى كَـــبـــدٍ غـــمـــرتـــهـــا الـــرمـــالُ
إلى مـــقَـــلـــةٍ في الثرى ثـــاويـــه

أبـي وصديقي الذي قد فقدت
ومـــن ســـأعـــيش بـــأحـــلامِـــهِ

ومــن كــان لي مــنــه كــلُّ الـهـنـاء
ولم يُـــبـــقِ لي غيرَ آلامِـــه .

بغداد 1950

عتاب

بـعـدَ سـبـعٍ مـن السـنين عِـجاف
حَـمَّـلَـتـنـا مـن الـهـموم جـبـالا

عُـدتَ مـن مـوطـن الثراء فـقيراً
أنت تـبـغـي كـرامـةً لا مـالا

كـانَ سـهـلاً أن تشـربَ الماءَ عـذبـاً
فترفَّـعتَ ، واتَّـبـعتَ الآلا

أيَّ شـيءٍ أفـادهُ حسـنُ صِـيتٍ
دفـعَ الـعـوز أم رعـى الأطـفـالا

لا يقولُ التاريخُ : كان جواداً .
هـو يُـطـري الملـوكَ والأبـطـالا

واحـدٌ أنتَ مـن رجـالٍ تسـامَـوا
لـلـمـعـالي ، فَـعُـوِّضـوا إهـمـالا .

العمارة – صيف 1946

صفحة من الأوتوغراف

بُــعــثتُ إلى الأرض قــيــثــارةً
لــتــأســوَ أنــغــامُــهــا الــبــائسين

وإذ لمســتــنــي أكُــفُّ الثرى
ســرت نــغــمــاتــي عــلــيــهــا أنين.

فــداءٌ لــعــيــنــيكَ كــيــف امّــحــى
بــريــقُ الــهــوى وســنــا الــنــيريــن

فــداءٌ لــثــغــرِكَ كــيــف اخــتــفــى
صــدى ضــحــكِــه وتــلاشــى الــرّنين

فــداءٌ لــقــلــبكَ كــيــف انــتــهــى
رفــيــفُ الجنــاحِ وطــار الــسّــجين ؟

فـداءٌ لـيُـمـنـاك بـنتِ الـفـنـون
لـكَـم أبـدعَـت مـن فـريـدٍ ثـمين .

سـواءٌ إذا أبـغـضـتـنـي الأنـامُ
أو ازدحـم الـعـيشُ بـالمعـجـبين

عَـمَـرتَ فـؤادي ، وحـطّـمـتَـهُ
فـهـيـهـاتَ بـعـدَك يـومـاً يَـلين

حـبـبـتُـكَ أنت مـثـالَ الحنـان
ولـن أسـمـعَ الصِـبْـيـةَ الـعـابـثين

أبـي خَـلِّ عـنك الـرّدى لحظـةً
لـتـكـتبَ سـطـراً مـع الـكـاتـبين .

بغداد 1947/1/6

التائهة

هذي نهايتُكَ الأليمةُ يا فؤادُ وذا المصير
لمن الشكاةُ إذا تفجَّرت الدموعُ ومن يُجير ؟
الريحُ تلفحُ جسميَ الذاوي ويصهرُني الهجير
لا ظلَّ لي آوي إليه ولا وقاءَ ولا نصير
عبثا أُفتّشُ في الفلا
فأنا هنا
وحدي

عبثاً أُريقُ مدامعي ، وأبثُّ آهاتي سدى
قلبي يُمزّقهُ الصراخُ ولا مجيبَ سوى الصدى
وشفاهيَ الظمأى تحسَّسُ في الثّرى أثرَ الندى
قست الحياةُ وعذَّبت نفسي ، فرفقاً يا ردى
لا تمحُ من عيني السنا
وأنا هنا
وحدي

لا صدرَ ، يسنِدُني ، ولا كفٌّ تـمـرُّ على الجبين
لا مقلةٌ ترعى خطايَ على متاهات السنين
خَبتِ المنى ، وذوى الرّجاءُ ، فلا تُلحّي يا عيون
لن تُبصري في ذي الفلا أحداً يُغيثُكِ أو يُعين
قد تهتُ في درب الهنا
فـأنـا هـنـا
وحدي

جاءَ الـمساءُ ، فما أعَدَّ من المخاوف والعذابْ
ماذا أرى ؟ ربَّاهُ رِفقاً ، تلكَ أحداقُ الذئاب
تدنو رويداً ، مَن تخافُ إذا دَنَت ممن تهاب ؟
منّي أنا تخشى ؟ أمِنْ هذي البقيةِ في الثياب ؟
يَهنيكَ يا ذئبَ الفلا
فـأنـا هـنـا
وحدي

أإليكِ أيّتُها الشقيةُ يزحفُ العَدَمُ الرهيبْ
ماذا جنيتِ من الشرورِ وما اقترفت من الذنوب
لِيصيرَ قلبُكِ نُهبةً بين المخالبِ والنيوب
وتضيقُ بي الدنيا التي كانت ليَ الصدرَ الرحيب
ويلفُّني صمتُ الفنا
وأنا هنا
وحدي

بالأمس ما كانت لِتُرهِبُني الرياحُ ولا السّباعْ
كانت تُسَدِّدُ خُطوتي عينٌ ويسندُني ذراع
واليومَ كلُّ مقدسٍ بيدِ البلى أمسى مُشاع
مات الدليلُ وأسلمت يدُه الوديعةَ للضياع
عزلاءَ خلفني أنا
أقضي هنا
وحدي

بغداد 1949

نالت هذه القصيدة الجائزة الأولى في مهرجان الشعر بالكليّة

14

أُحِـــــبُّ كُـــــلَّ أربـــــعٍ وعشـــــرِ
لأنَّهـــــا ليلةُ تمُّ الـــــبدرِ
شـــعـــريةٌ تُـــوحـــي أرقَّ الشِـــعـــرِ

أُحبُّ كـــــلَّ أربـــــعٍ وعشـــــرِ
لأنَّـــهـــا أحـــلـــى سِـــنـــيِّ الـــعـــمـــرِ
غضيرةٌ فـــوّاحـــةٌ بـــالـــعـــطـــر
مـــلـــيـــئـــةٌ بـــرَعَـــشـــاتِ الـــطُّـــهـــرِ

أُحِبُّ كلَّ أربعٍ وعشرِ
لأنَّها تختمُ رقمَ الشرِّ
وتجلبُ اليسارَ بعدَ العُسرِ

وأنَّها أروعُ ما في الدّهرِ
ثورتُنا على قيودِ الغدرِ
وعيدُنا العظيمُ ، عيدُ النصرِ
أغنيةٌ لكلِّ شعبٍ حُرِّ .

1958

جيمي ولسون

جيمي ، يقول الحاكم الكبير
بأنّه ملوَّنٌ خطير
ومجرمٌ أقلُّ ما يردعُه الإعدام
لأنّه يهدّدُ السلام
ونحن نحمي العدلَ والسلام .

جيمي ويا للفعلةِ الشنعاءْ
يعترضُ السيدةَ البيضاء
يسرُقُ دولارين
يا للفعلةِ الشنعاء .

جيمي وآخرون من (لتل روك) وفي تكساس
يُجرَّدون من أقلِّ مُعطياتِ الناس
في وطن الحريّةِ الفسيح
في وطن يصنعُ من مبادئ المسيح
سلاسلاً تُقيِّدُ الأحرار
ورُتَباً تُصَنِّفُ الأجناس .

كتبت هذه القصيدة في بغداد عام 1958 على أثر صدور حكم الإعدام على الزنجي جيمي ولسن من لتل روك تكساس لأنه هاجم سيدة بيضاء وسرق منها دولارين.

أخي رجاء

1958-1932

أخـــي والــعــراقُ غــنـــاءٌ طــروبٌ
بــلــيــلــةِ عــيــدِ تُــشــيـعُ الـهـنـاءْ

تَـــســـربـــلَ بـــالـــعِـــزِّ عُـــريـــانُـــه
ونـــام عـــلـــى أمـــلٍ مـــن رخـــاء

تُـــكـــلِّـــفُـــنـــي غَـــصَّـــةَ الخائـــنين
وذُلَّـتَـــهـــم في جـــلالِ الـــقـضـــاء

وتـــدفـــعُـــنـــي لـــلأســـى والأنين
وتـــخـــتـــارُ لـلـشـعـر لـونَ الـرثـاء ؟

أخـــي جـــرأةُ الـــذهـــنِ في المعضـلات
إلى دَعـــةِ الـــكـــفِّ عَـــنـــد الجفـــاء

يُجلّي على خصمه باسماً
فيسعى له نادماً مَن أساء

ويَحرمُ من مِتعةِ نفسَهُ
ليُسعِفَ محتاجةً في الخفاء

جُبلنا على الخيرِ والتّضحيات
فجانَبنا ما حَيينا الثراء

حصيلتُنا من أبٍ أريحيٍّ
ذكيٍّ أبيٍّ كثيرِ العطاء.

فديتُ العيونَ التي ما بكت
تَندّرُ ساخرةً بالبقاء

ترى الموتَ أقربَ من هُدبها
وتستضحِكُ الأهلِ والأصدقاء

تُـهـوِّنُ في أعـيُـنِ الـعـائـديـن
مُـصـابـاً يُـقـصِّـرُ فـيـه الـعـزاء

وتســـألُ أُمِّـــيَ " ألا تَـــدُقَّ
عـلـى صـدرِهـا وتـطـيـلَ الـبـكـاء

فـمـا الـفـرقُ بين ابـنِ عشـريـن عـامـاً
وشـيـخٍ تـذوَّقَ كُـلَّ الـهـنـاء

إذا كـان هـذا خـتـامَ المطـاف
فـكـلُّ السّـنين عـلـيـنـا سـواء " .

فـديـتُـك جَـلْـداً يُـعـانـي العـذابَ
ويـنـطُـقُ عـن حـكـمـةِ الأنـبـيـاء.

رجـاءُ أخـي يـا أخـي يـا رجـاء
لـقـد أوحَـشَ الـسـمـعَ هـذا الـنـداء

وأفــقَــدَ أمِّــي مــعــنــى الحيــاة
وصــيَّــرهــا هــيــكــلاً لــلشــقــاء .

تــنــوحُ وتــرثــيك لــيــلَ نــهــار
وتصــرخ بــالــقبر حــتــى الــعــيــاء :

" ألا يــا ثــرى قبرهِ لا تُــبــدِّل
جــبــيــنــاً تــوهَّــجَ فــيــه الــذكــاء

وصُــن ثــغــرَهُ الحلــوَ مسترســلاً
بــعــذبِ الــنــكــاتِ وســحــر الأداء

أهــذا مــكــانُ الشــبــاب الــطــمــوح
وهذا أوانُ الردى يا رجاء " ؟

1958/12/1

مَن أنتَ ؟

(إلى الشاعر إيليا أبو ماضي)

كتبتُها للشاعر إيليا أبو ماضي بعد أن قرأتُ ديوانه «الجداول» عام 1943. نشرَها الشاعر عام 1944 في جريدته «السمير» التي يُصدرُها في بروكلن، وفي الصفحة الأولى مع صورة (الشاعرة الصغيرة) كما سمّاها، وعلّق عليها وأهدى للشاعرة قصيدته (ابسمي) وهي أوّل قصيدة تنشر للشاعرة. ومن أبياتها:

مَن أنت ؟ أنت ملاكٌ جسمُه بشرُ
أم أنتَ روحُ إلهٍ ساقها القدرُ ؟

ومنها :

أنا الغريبة في أهلي وفي وطني
وأنت يجهل معنى روحك البشر

ومنها :

ما أعجب الناسَ يبقى الخيرُ محتَبساً
ما بينهم مهملاً والشرُّ ينتشرُ

هم يملكون أنوفاً لا تشُمُّ سوى
نتنِ الرياحِ ولا يحلو لها العطرُ

إذا رأوا درهماً من أجله اقتتلوا
وإن همُ سمِعوا شعراً به سخروا

كأنّهم والجُّ[1] روضاً تزينُه
أبهى الورود وفيه الماءُ والشجرُ

فلم يُسَرَّ به بل زاده ألماً
لأنَّ ذا الروضَ لم ينضج به ثمرُ .

1– هذه الكلمة كانت (داخلٌ) فأبدلها إيليا أبو ماضي بوالج.

رثاء إيليا أبو ماضي

لماذا ؟

يموت النوابغُ كالآخرين
تماماً كما ينتهي الأغبياء
إلى سكتةٍ لا تُحسّ السّنين
ولا تشتكي مللاً أو عياء
ألا يشفعُ الفكرُ عند القضاء ؟

أأنتَ تموت ؟ كأنّ الحياةَ
ما آثرتك بأسرارِها
وما فتحت صدرَها فاحتوتك
وأنشدتها غُرَّ أشعارِها
وأنعشت ذابلَ أزهارِها ؟

وهـبت لحونَـك لـلـمـنشـديـن
وروَّيت سـمـعَ الـدنـا (بـالجداول)
وكـنت الـهـزارَ يـلاقـي الشـروق
ضـحـوكـاً وإن أثـقـلـتـه المعـاضـل
ويـنثر أنـغـامـه في (الخمـائـل)

هـجـرتَ الـبـلادَ غضيرَ الإهـابِ
وأشـرقت نجـمـاً عـلـى المغـرب
كـفـاحٌ وأنـبـلُ مـا في الحيـاة
كـفـاحُ الأُبـاةِ إلى مـطـلـب
تـنـزَّهَ عـن بـارق المنصب

عـظُـمتَ أبـيّـاً سـمـا بـالـقـريض
وغـذّاهُ مـن ذهـنـهِ مـا يشـاء
وأغـنـاهُ عـن ذلّـة الـسـائـلين
فُـتـاتـاً يـجـود بـه الأغـنـيـاء
يُـهـانُ بـه الـفـنُّ والـكـبريـاء .

نجيَّ الطبيعةِ غذَّيتَ فكري
بأنبل ما حصدت كفُّ عمري
وفجَّرتَ بِكرَ لحوني ، فكان
نشيدُ الطفولةِ من (لست أدري)
لقد كنتَ وحياً لأوَّلِ شعري .

وكان (السميرُ)[1] يجوبُ البحار
ويطوي القفارَ إلى بلدتي
فألقاك في صفحات السمير
رفيقاً يشاركُني وحدتي
تقول افرحي (وابسمي) يا ابنتي .

بسمتُ ، فما لك عُدتَ الغداةَ
تُثيرُ الدموعَ على وجنتي
وتُخرِسُ في شفتيَّ الغناءَ
وتجمعُ آهي إلى أنَّتي
لأرثيكَ ، أرثيكَ واحسرتي ؟

لــقـــد كـــان لي مـــأمـــلٌ أوشـــكت
بـــراعـــمُـــه الخضـــرُ أن تـــبســـمـــا
دُوَيـــويـــنُ شـــعـــريَ أُهـــديـــكـــهُ
أردُّ إلـــيك بـــه بـــعضَ مـــا ...
ولــكـــنّـــه الموتُ لـــن يـــرحـــمـــا .

ورحتَ ، وراحتْ مُـــنـــىً غضّـــةٌ
ســـراعـــاً بـــلا ســـببٍ مـــن سَـــقَـــم
ولـــو أمـــهـــلـــتك المنـــايـــا لـــتـــدرك
لُغـــزَ الـــوجـــود ، ولغـــزَ الـــعـــدم
و(تدري) إلى أين تمضي الأمم .

عـــلـــى عـــجـــلٍ ، لم تـــودّعِ أخـــاً
ولا وَلَـــداً ، لم تَـــقـــلْ مـــا تـــريـــد
كـــأنَّ الـــردى يســـتـــحـــي أن تـــراهُ
فـــغـــالَـــك مســـتـــخـــفـــياً من بـــعـــيـــد
وكـــفَّـــنَ وهـــجَ الـــنـــهـــى بـــالجـــلـــيـــد .

وجـفَّ الـبـيـانُ عـلـى شـفـتـيك
ونـــــامَ اليراعُ ، لأوَّل مَـــــرّه
وفي الـــطـــرس أنشـــودةٌ لم تـــتـــم
مـــعـــلـــقـــةٌ بين شكٍ وحيرة
بشيء ولا شيء يا لك فكره .

1957

1--(السمير) صحيفة أصدرها الشاعر منذ سنة 1929 في بروكلن وكان يبعث بها إلى الشاعرة الصغيرة كما يسمّيها وقد نشر لها أول قصيدة وعمرها 14 سنة وأهداها قصيدة (ابسمي). الجداول أول ديوان انتشر واشتهر للشاعر، وكان مستاء من إعادة نشره في العراق من دون إذنه و**لم يقدّر مدى فائدة هذه (السرقة) لشاعر يعيش في الولايات المتحدة. والخمائل ديوان الشاعر الأخير وقد خطّ عناوينه الفنان عباس عمارة**– والد الشاعرة وصديق الشاعر – أثناء وجوده في أميركا.

في امتحان الرياضيات

في امتحان البكالوريا للصف الثالث المتوسط سنة 1943 توقّفت عند حلّ بعض المسائل الرياضية (هندسة– جبر– حساب) وتتمة للحلّ الناقص كتبت الأبيات التالية، وأقسم مصحّحو المادة على أنّهم لا يعرفون (هذه الفتاة) ولا يعتبر هذا غشّاً أو إشارة، وكلّهم كتبوا الأبيات على ظهر علب سجائرهم كما حدّثوا بعد ذلك.

كتبت تحت نصف الحل لمسألة الجبر:

أيــــنَ سينٌ نــــاقصٌ صــــاداً ونــــون
مــن قصــيــدٍ بــالـغ المعـنـى حـنـون

أيــن رفــعُ الــقــوس أو تــربــيــعُــه
مــن تــراتــيــلَ لـهـا تـنـدى الـعـيـون

أيــن يـــا هـــذا ريـــاضـيّـــاتـــكـــم
من سماءِ الشعرِ ، من سحرِ الفنون

أَمِـنَ الحكـمـةِ أن يمضـي الصّـبـا
ويضـيـع الـعـمـرُ والـعـمـرُ ثـمين

بين كســـر واخـــتصـــارٍ تـــافـــهٍ
وزوالِ الأُسِّ أو ربـــحِ الـــدّيـــون ؟

وكتبت تحت مسألة حسابيّة معقّدة :

مـــا لي ولـــلأربـــاح والتُّـــجّـــارِ
أنـــا لا أكـــونُ ســـوى فـــتـــاةِ الـــدارِ

وكتبت بالآخر :

خـــوفـيَ أن أكـــونَ في الإكـــمـــالِ
فـــارأفْ أيـــا مُـصـحّـحي بـحـالي .

إلى الشيخ الشاعر

أنتَ في أُفقِ حياتي

كوكبٌ فوق الغيوم

أنتَ في روض خيالي

زهرةٌ خلفَ الكروم

أنتَ في بحرِ فؤادي

زورقٌ واهٍ يعوم

أنتَ همسٌ لا أعيهِ
في حياتي الصّاخبه

أنا شمسٌ في ضحاها
أنت شمسٌ غاربه
ليس قلبي أيُّها المفتون
قفراً ، أو بباب

أو قبوراً سوف تُصبيها
أغاريدُ الغراب .

بغداد 1945

أستاذي الذي لم أره

أبيات من قصيدة منسيّة في رثاء أستاذ العربيّة الذي توفيّ عند التحاقي بالكليّة و لم ألتقِ به. نشرها د. طه حسين في مجلة (الكاتب المصري) عام 1947.

أيا موتُ يكفيني فقد طفحت كأسي
وإن كنتَ لا تعيا فقد تَعِبَت نفسي

فبالأمس ضيَّعْتُ الأعزّ وها أنا
أُجرَّعُ ألواناً من الهمّ والبؤسِ

ومنها:

مضى الوالد الحاني وخلِّفتُ بعده
لألقى سهامَ النائباتِ بلا تُرسِ

وجــئتُ إلى بــغــدادَ أنشُــدُ ســلــوةً
وقلتُ يذوبُ الحزنُ في ساحة الدرسِ

فُــجِـعتُ بــأُســتــاذي غــداةَ قــصــدتُــه
لأروي صدى فكري ، وصدَّقني حَدسي

وذلك أنَّ الــنــحسَ لا شكَّ صــاحــبــي
فإن رُمتُ سيراً ، سار في موكبي نحسي .

عــرفــتُــكَ لــم يُــكــحَــل بــمــرآك نــاظــري
ولا غروَ نشرُ الروضِ يُنبي عن الغرسِ

بغداد 1946

الدّيكُ الجائع والدرّة

خرجَ الديكُ باحثاً عن طعامِ
ينكشُ الأرضَ جاهداً ذاتَ صبحِ

فإذا دُرَّةٌ تَشعُّ كنجمٍ
يُبهجُ العينَ لو تفوزُ بلمحِ

وجمَ الديكُ ، ثمّ قال بحزنٍ :
" ضاعَ جهدي وما رَجِعتُ بربحِ

ربما تنفعين غيري ، ولكن
أتمنّى لو كنتِ حبّةَ قمحِ "

1957/3/16

لشبيه نيرون

تجبَّرْ ، تنمَّرْ ، تبطَّرْ ، تكبَّرْ
تمسّك بما أسطعتَ بالمنصبِ

تَوعَّدْ وأرغِ وأرعِدْ وأزبِدْ
ولوّح بيمناك إن تَغضَبِ

ودقَّ الخوانَ وألقِ الإهانةَ
للناصحين وللطيّبِ

وَثُر ما استطعتَ تَقُدْ أُمَّةً
تَخَوّفُ من شكلِكَ المرعبِ

ولا تُلقِ بالاً لقولِ النّصيحِ
فإنَّ الزعامةَ طوعُ الغبي

ومــا الــرأيُ إلاّ كــمــا تشــتــهــي
وتـــرغبُ ، لا حــكــمــةُ الأشـــيبِ

وشـــرطُ الــقــيــادةِ طــولٌ وعــرضٌ
فــأنت كــفــوءٌ " صــلاة الــنــبــي "
لـــزنـــدكَ قـــوّةُ عشـــرِ زنـــودِ
وكـــرشُـــك خـــابـــيـــةُ المشـــربِ

وعـــيـــنـــاك عـــن رِقّـــةِ تـــنـــطـــقـــان
كـــأنّكَ مـــا كِـــدتَ لـــلأقـــربِ
ولم تـــــقـــــتـــــل الأُمَّ في نـــــزوةٍ
وزوجَـــك ، يـــا لك مـــن أكـــذب

يـــلـــذُّ لـــعـــيـــنـــيك ســيـــحُ الــدمــاء
ويـــحـــلـــو لكَ الــقــتــلُ في المـلـعـب

ورومــا بــلادُ الــنُــهــى والــفــنــون
غــدت في يَــدِ الــعــاصــف الــمــلــهــب
طــعــامــاً لحــقــدك فــاشــفِ الــغــلــيــل
ووقّــع عــلــى الــوتــر الأعــذبِ .

رويــــدكَ نيرون ، إنَّ الــــرُّعـــاعَ
إذا ثــــار فــيــهــا الشــعــورُ الأبـــي
ســتــســحــقُ ســحــقــاً مُــذِلَّ الشــعــوب
وتــمــشــي عــلــى جُــثَّــةِ الأغــلــب .

رويــدك نيرون ، بــعضَ الــهــدوءِ
فمـــا في الإدارةِ مـــن مـــلـــعـــبِ

ولـــيــس مـــكـــانُـــكَ خــلــف الخوان
ولـــيــس مـــكـــانُـــك في المكـــتـــبِ
مـــكـــانُـــك حـــيــثُ يضــجُّ المصــحُّ
بــأشــبــاهِ تــفــكــيرِك المتــعَــب .

بغداد 1955

عودة الربيع

الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى في مطبعة اتّحاد الأدباء
العراقيين الأول 1962 على نفقة الشاعرة
وصودر الكتاب مع محتويات المبنى بعد أشهر
في شباط 1963.

بعض قصائد الديوان نشرت لاحقاً ضمن مجموعة
«أغاني عشتار» وبعضها تقتضي عدم الأمانة
التاريخية حذفه، والبعض ملحق هنا بديوان
«الزاوية الخالية».

عودة الربيع

إلى أخي رجاء

عاد الربيعُ ، وأنت لم تَعُدِ
يا حُرقةً تقتاتُ من كبدي

عاد الربيع ، فألفُ وأسفي
ألاَّ تُحِسَّ به ، إلى الأبدِ .

أنساك ؟ كيف ؟ وألفُ تذكرةٍ
في بيتِنا تترى على خَلَدي

هذا مكانُكَ في حديقتنا
متشوِّقاً لطرائفٍ جُدُدِ

كم قد سَهِرنا والحديثُ نَدِي
وعلى ذراعِكَ كم غفا ولدي

وهنا مكانُك حين يجمعُنا
وقتُ الطعام يداك قربَ يدي

نتناهبُ الأطباقَ في مرحٍ
حتى لنجهلَ قُدرةَ المِعَد

وهنا كتابُك ، في هوامشه
رأيٌ ، وتحليلٌ لمُنتَقِد

ورسائلٌ وَرَدَت ، وأعوزَها
رَدٌّ عليها منك لم يَرِدِ .

يــا وجـهَـهُ الـريَّـانَ مـن أمـل
كـيـف احـتـمـلت تـجـهُّـمَ الـلَّـحِدِ

أتصـــفَّـــحُ الماشينَ ســاهـــمـــةً
عَـــلِّـــي أرى ســـيـــماكَ في أحـــد

لا بُـــدَّ أن ألـــقـــاك ، والَـــهَـــفـــي
أنَّى ، وكيف أراك يا سندي ؟

كِــــتــــلٌ مــن الإســمــنتِ بــاردةٌ
وكــتـــابـــةٌ في مــرمــرٍ صَــلِــدِ

ســـنـــةٌ ـ إلى سنـةٍ ، وأوجــعُــهــا
مــا بــيــنــهــا مــن زاهــر الــعــدد .

لا شـيءَ مـن نَـغَـمـات ضـحـكـتِـه
مــن حُـســنِ طَـلَّـةِ ذلك الجســد

لا شــيءَ ، لا بُــقـيا تُـعـلِّـلُـنـا
فــكــأنَّ أمَّ (رجــاء) لم تــلــدِ .

1959

تحيّة الرصافي

جزء من القصيدة

هو شاعرٌ ، حسبي من الأوصافِ
أُغنيتَ يا (معروفُ) عن ألطافي

أمضيتَ كلَّ العمرِ بؤساً ساحقاً
ماذا تَرُدُّ معازفُ العُزّافِ ؟

من نومةٍ فوق الجريد ، لنومةٍ
تحت التراب بليدةِ الأطياف

عارٌ على عارٍ لعهدٍ جاحدٍ
خلوٍ من التقدير والإنصاف

مـنـعَ الأديبَ الألمعـيَ صُـبـابـةً
وأفـاض بـالأنـعـام لـلأجـلافِ .

هم يزعمون : " العبقريةُ تنتشي
بـالحزنِ والحرمـانِ والإجـحـاف
دربُ الخلـودِ مـزالـقٌ ومـهـالكٌ
لا يـأمـنُ الـعثراتِ إلا الحافي "

خَسِئوا فأغزرُ ما يجودُ مفكّرٌ
والـعـيشُ طـلـقٌ نـاعـمُ الأكـنـافِ

أولى بـهـذا الـفـكـرِ ألا يُـبـتـلَـى
بـالخبـز والأثـوابِ والأخـفـاف

لـكـنَّـهـا والمافيـاتُ تُـديـرُهـا
وأمـورُهـا في قـبـضـة الصـرّافِ

رعنـاءُ تـحـرمُ وِردَهـا أحـيـاءها
لـيـكـرّمـوا بـمـواكب الأسـلاف .

يـا شـاعـرَ الـبـؤسـاءِ ألـفَ تحيـةٍ
لــو أنصــفــتك تحيــةُ الآلافِ .

هــذا هــو الـيـومُ الـذي أمّـلـتَـهُ
هلاّ انـتـظـرت تـكشفَ الأسجافِ

هـذا هـو الـبـطـلُ الـذي نـاديـتـه
لــبّــى نــداءَك بــالــدواء الشــافي

أرســى بــهــا والموج يــزأرُ حــولَـهُ
ورنــا لـهـوج الـريـحِ بـاسـتـخـفـاف

هــي ضــربــةٌ وتــتــابـعت أشـبـاهـهـا
شُــدِهَ الــعـــدوُ بــهـا وهَــبَّ الــغـافي

هــو فــوقَ مـا صــوَّرتَ إذ نـاجـيـتَـه
هو فوقَ ما نلقى من الأوصاف

هــو في الـعـيـونِ بـريـقُـهـا وعـنـادهـا
وعــلـى الشـفـاه حُـشـاشـةُ الـهـتّـافِ

نَمْ هانئاً ـ إن صحَّ قولي هانئًا ـ
فـلـقـد ظـفِـرتَ بـحـلـمك الـرفّـافِ

ألقيت في مهرجان الرصافي – بغداد 1959/4/18

أخوات كان

(أصبح، أضحى، غدا، أمسى، صار. وكلّهن مثل كان) ليس أوجع من مشهد نساء وأطفال ينبشون في المزابل.

يقولون : صار ، وأضحى ، وأمسى ...
وها أنا ، أنتِ على المزبله ،
نتابعُ أقذارَ هذا الزمان
وتسعى اليدانِ بها غربله
نفتّش عن خرقةٍ مهمله
عن القشّ ، عن ورقٍ ، خشبٍ
فتنّورُنا شَرِهٌ مُقعَدُ
بكلِّ هزيل اللظى يُنجَدُ
ونحن نُلملمُ دونَ نهايه
لنأكلَ خبزاً بهذي النُفايه .

وأطفالُنا انتشروا كالذباب
من الوَحلِ لُعبتُهم والسُباب
ومن أغنياتٍ قِصار
لأضحى وأمسى وصار
لآخرِ ما تُنتجُ المهزله

كأنَّ لنا جَنَّةَ المترَفين
ولسنا نُهَوِّمُ في مزبله .

بغداد 1962

جامعات الملح

بعد صدور قانون الإصلاح الزراعي
وفي الناس من يعيش من الموت.

" حلوٌ وناعمٌ وأبيضُ
يا ملحَنا
يا زرعَنا
من غيرِ بذرٍ أو حصادٍ يبهظُ[1] " .

الله...! ما أروعَها
بحيرةً تَفَضَّضُ !
ملأتُ قُفَّتي به
أكادُ من ثقلٍ بها لا أنهضُ ،
أطواقُها المخروزةُ السوداءُ
أجفانٌ على بياضِها لا تُغمضُ ،

ملأتُها كخيمةٍ ،
كقبةِ الإمامِ تلكَ ،
مثلَ تلٍّ يربُضُ .

- يا هذه
لا تـجمعي الترابَ والملحَ
خُذي عاليَهُ بخفةٍ
فإنّه لا يركضُ
كَلَبَنٍ من دُرةٍ طَيِّعةٍ لا ترفضُ .

- وكيف لا ؟
وقد سمعتُ خبراً يُدمي الحشا ويُرمِضُ
سيزرعون الأرضَ ،
كلَّ الأرضِ يا أُخَيَّتي
فلا سِباخ بعدَ حينٍ تَمخَضُ .

ـ سباخَنا البيضاءَ
يا سباخَنا
لا زارَكِ العُشبُ غداً
يا روضةَ جُمانُها بكلِّ طيبٍ ينبضُ
يا أُفقاً من أنـجمٍ على المدى ستومِضُ
خمسينَ عاماً نـملأُ القِفافَ من ثلوجِها
وتَعرُضُ ،
لا لن تكونَ غيرَ ملحٍ
إنّها سترفضُ .

حلو ، وناعمٌ ، وأبيضُ ،
يا مـلحَنا ، يا زرعَنا
من غيرِ بذرٍ أو حصادٍ يَبهَضُ .

تموز 1958

١ـ مشكلة العراقيين أنهم لا يفرّقون بين نطق الظاء والضاد.

إلى عاملة

في مصهر الحديد في (شنيان)[1]
والماردُ الأسودُ قد فارقَهُ العناد
ينسابُ كاللّهيبِ في المساربِ السوداء
كالثّعبان ،
يا للحديد ، أفسد التّشبيهَ ،
ما ألينَهُ في قبضةِ الإنسان .

عرفتها في مصنع الحديد في شنيان
مشرقةً كزهرةِ التّفاح
كانطلاقةِ السنا من الأفران

ضفيرةً سوداءَ وابتسامةَ اطمئنان
تُسابقُ الوقتَ
تُريدُ أن تكونَ أولَ الفرسان
أحببتُها
أحببتُهنَّ
كلُّـهنَّ مثلُـها
كباقة الريحان .

الصين الشعبية في 1959/10/20

1– شنيان إحدى مدن الصين المشهورة بمصانع الحديد.

مـاو

هـــادئٌ يـــوهِـــمُ الــعـيـــونَ الخوالي

أنَّــه لم يَــخُـضْ صـروفَ الـنّـضـالِ

أسـمـرُ الـوجـهِ لـوَّحـتْـهُ الـتـجـاريبُ

وَشـــدَّتْ مـــن عــارضَـيـهِ الــلـيــالي

أنتَ أدرى بـــه ، ولــكــنَّ شـيـئــاً

لستَ تـــدريـهِ ، مـولَـعٌ بـالـسـؤال :

أبـــهـــذا الـــهـــدوءِ قـــادَ الملايينَ

وأرســـى مصـــائـــرَ الأجـــيـــال ؟

قــاهــرُ الموتِ في مجاعــاتــهِ الــكبرى
مـرّويـــــــــهِ ذائبَ الأغــــــــلالِ
خــالـقُ الصين مــن صـريــر الــبـلايـا
وفــحــيـحِ الــطــاعــون في الأوحــالِ
مـن دخـان الأفـيـون يـلـتفُّ كـالتّنين
حـــول الأفـــكـــار والأعـــمـــالِ ،

مـــن أنينِ الجيـــاع ، نـــوحِ بَـنـيـهـم
إذ يُـــبــاعــون دونَـمــا أســمــالِ ،

من رؤى الكادحين من مطلع الفجر
تســـاوَت أيّـــامُـــهـــم والـلـيـــالي .

مجدُ هــذا الــعــمـلاقِ أبـعــدُ غــوراً
في ثـــرى الصين مـــن ســمــاءِ الخيـالِ

مجدُهُ في القلوبِ تنضحُ حُبّاً
وحماسٌ في أذرعِ العمالِ
أينما سِرتَ مجدُهُ يتراءى
في ابتسام الشيوخ والأطفالِ

جَلَّ هذا الوديعُ ، يبدو فتسري
هَزَّةٌ للخشوعِ في الأوصالِ

بطلٌ لا يُقالُ « لكنَّ » فيه
حين تُزري لكنَّ بالأبطالِ .

بكين – أكتوبر 1959

قبل الثورة الثقافية سيئة الصيت

قلق

حيرى أذيبُ الـلـيـلَ في قـلـقـي
لا فـــكـــرةٌ تـــنســـابُ في أرقـــي

وإذا هَـــمـــمتُ بصـــورةٍ عَـــرَضَـــت
تـــتشـــابكُ الألـــوان في أفـــقـــي .

المحتويات

الزاوية الخالية

عودة الربيع

الطبعة الجديدة المنقّحة المعتمدة

لدواوين الشاعرة – إصدار سنة 2001

الزاوية الخالية و عودة الربيع

أغاني عشتار

عراقية و يسمّونه الحب

لو أنبأني العرّاف

البعد الأخير

بالعامية

قبل الـ 2000

تُطلب من الناشر

AMARA Publisher
P.O.Box 4075
La Mesa, California 91944-4075
U.S.A.